**المحاضرة السابعة: النظريات السكانية الكلاسيكية**

**الأهداف :**

**ــ التعرف على مختلف النظريات السكانية و الانتفادات الموجهة لها .**

**ــ تصنيف النظريات حسب المذاهب الفكرية لأصحابها .**

تنقسم هذه النظريات إلى ثلاثة أصناف: طبيعية، اجتماعية و اقتصادية، و قد جاءت في معظمها كتداعيات لنظرية مالتوس .

**أولا: النظريات الطبيعية**

1. **نظرية دابلداي : (1790 ـ 1870)**

حسب هذه النظرية فإن هناك علاقة عكسية بين الغذاء و نمو السكان، وهذا ما ورد في كتاب " القانون الحقيقي للسكان "الذي صدر سنة 1837، حيث يؤكد "أن أشد الناس قدرة على التناسل أشدهم بؤسا "، وهو ما لا تسنده أية حقائق علمية .

1. **نظرية سادلر (1780 ـ 1835 ):**

مفادها أن الزيادة السكانية أو القدرة على التناسل تتناقص بارتفاع حجم السكان، كما أن الحرمان من الترف يشجع على التناسل، وأن المجتمع في تدرجه من مرحلة الصيد والزراعة إلى مرحلة الصناعة و التكنولوجيا الحديثة من شأنه خفض النمو السكاني بصفة تدريجية، وقد وردت هذه الآراء في كتابه " قانون السكان ".أنه لم يفرق بين القدرة على الإنجاب و النمو الفعلي للسكان .

1. **نظرية هربرت سبنسر (1850 ـ 1903):**

مفاد هذه النظرية أن هناك تعارضا بين الفردية و التناسل خاصة عند النساء، كما أن زيادة حجم السكان من شأنها أن تسمح بحسن استغلال الموارد المتاحة ، و كذلك فإن النزعة الفردية و السعي الحثيث لإثبات الذات تستنفذ طاقة الفرد و تضعف قدرته على التناسل .

1. **نظرية كورادو جيني (1884 ـ 1965):**

يرى كورادو جيني في كتابه "أثر السكان في تطور المجتمع" الصادر سنة 1912 أن المجتمع يتطور عبر ثلاثة مراحل، حيث افترض أنه في كل مرحلة من هذه المراحل يتميز نمو السكان بخصائص معينة :

* **مرحلة النشأة :** خصوبة مرتفعة ، مع عدم وجود فوارق اجتماعية واضحة.
* **مرحلة التقدم والازدهار:** تمايز الطبقات الاجتماعية ،تناقص الخصوبة يؤدي إلى تراجع عدد السكان .
* **مرحلة الاضمحلال والفناء:** تراجع شديد في معدلات الخصوبة وتناقص عدد السكان في المناطق الريفية ، نتيجة نمو التصنيع و هجرة العمالة من الأرياف نحو المدن .

**ثانيا : النظريات الاجتماعية**

1. **كارل ماركس:**

تندرج رؤية كارل ماركس لقضية السكان ضمن إطار المادية التاريخية، حيث يرى أن نمو عدد السكان يؤدي إلى زيادة الإنتاج و هو ما يعني تضخم الثروة ، وبالتالي فإن النظام الرأسمالي باعتماده على الآلات يزيح جزءا من العمال مما ينجم عنه فائض في السكان، و كذلك تراكم رأس المال .

1. **إميل دوركايم:**

اشتهر إميلدوركايم بنظريته حول تقسيم العملالتي استلهم منها رؤيته لقضايا السكان، حيث يرى أن الزيادة السكانية تساهم في تيسير عملية تقسيم العمل . كما أشار إلى تكيف السكان مع مراحل التغير الاجتماعي والاقتصادي: الصيد، الرعي، الزراعة، الصناعة .إن كثافة السكان تتعاظم بالانتقال من مرحلة إلى أخرى و يتطور بذلك التفاعل بين أفراد المجتمع في إطار تبادل المنافع .

لقد أوغل دوركايم في تفسير قضايا السكان وفق عامل واحد فقط وهو تقسيم العمل الاجتماعي مع التركيز على الجوانب النفسية و الاجتماعية .

1. **أرسين ديمون: ( 1840 ــ 1902 )**

اهتم ديمون بالقضايا الاجتماعية المؤثرة في السكان، و ذلك في الدراسة التي نشرها عام 1890 تحت عنوان " تناقص سكان المدينة ".

يؤكد ديمون أن سعي الفرد للارتقاء الاجتماعي يجعله أقل قدرة على التناسل، كما أن القرب من المدينة في المجتمع الديموقراطي يجعل انتقال الفرد من طبقة إلى أخرى بأكثر سرعة وفاعلية، و هو ما أطلق عليه اسم الشعيرية الاجتماعية ، مما أدى إلى انخفاض معدلات المواليد في المدن الكبرى في الدول المتطورة ( فرنسا مثلا )، على عكس الدول النامية ( الهند مثلا ) .

1. **كينغزلي ديفيس**

يعتبر ديفيس عالم اجتماع أمريكي اهتم كثيرا بقضايا السكان، حيث اشتهر بنظريته حول "التغير الاجتماعي والاستجابة في التاريخ الديموغرافي الحديث"، فقد أوضح أ ن المجتمع يميل دوما إلى التوازن ليس بين عدد السكان والموارد المتاحة كما قال مالتوس، ولكن بين حجم السكان ومتطلبات البناء الاجتماعي بمعنى تحقيق أهداف المجتمع (اقتصادية، اجتماعية، تربوية، سياسية، دينية إلخ ...)، وأن هناك ضغوط داخلية و خارجية تهدد هذا التوازن، وفي حالة اختلال هذا التوازن، يستجيب المجتمع بطرق مختلفة تدعى المتغيرات الوسيطة، كتأخير سن الزواج ، تنظيم الأسرة ...إلخ .

( جلبي ، 1987 : 122 ــ 138 )

**ثالثا : النظريات الاقتصادية**

1. **التجاريون والطبيعيون:**
2. **التجاريون:** يرى منظرو هذا المذهب أن التجارة هي مصدر الثروة، و أن قوة الدولة تكمن فيما تجمعه من ثروات و معادن نفيسة، لذلك فهذا التيار كان يحبذ العدد الكبير من السكان.
3. **الطبيعيون:** يدعون للعودة إلى الأرض بصفتها المصدر الرئيسي للثروة، وتركيز الأراضي في أيدي أصحاب رؤوس الأموال .
4. **النظريات الاقتصادية الكلاسيكية :**

تتمحور هذه النظرية حول عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ودور الأفراد في استغلال الموارد المتاحة، وأهم هذه النظريات:

1. **نظرية مستوى الكفاف:** مفادها أن الزيادة السكانية ترفع معروض اليد العاملة في سوق العمل مما يؤدي إلى خفض الأجور دون مستوى الكفاف، وهو ما ينجر عنه تدني مستوى المعيشة وبالتالي ارتفاع مستوى الوفيات وتناقص عدد السكان على المدى البعيد، ومنه تراجع معروض اليد العاملة وارتفاع الأجور وتحسن مستوى المعيشة فوق مستوى الكفاف، ما ينجم عنه تزايد الإقبال على الزواج و ارتفاع الولادات وتزايد السكان، وهو ما يرفع معروض اليد العاملة من جديد وهكذا...وأهم رواد هذه النظرية جون ستيوارت ميل .
2. **نظرية الوضع الساكن:** الزيادة السكانية ينجر عنها زيادة مستمرة في رأس المال والعمال وهو ما يؤدي إلى تدني عائد رأس المال المستخدم في العملية الإنتاجية، وبالتالي تراجع الثروة القومية وانخفاض الطلب على اليد العاملة .
3. **نظرية الغلة المتناقصة:** يعد عالم الاقتصاد دافيد ريكاردو رائدا لهذه النظرية، حيث يعتبر أن نمو السكان إذا لم يكن مقترنا بالمزيد من الأراضي الصالحة للزراعة من شأنه أن يؤدي إلى تناقص المردودية الزراعية .
4. **النظريات الاقتصادية الحديثة:**

إن الثورة الصناعية والتكنولوجية التي شهدتها أوروبا مع مطلع القرن التاسع عشر كانت لها تداعيات عديدة في مختلف المجالات الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية والفكرية، وبالتالي فإن الفكر السكاني المصاحب لتلك الفترة لم يكن بمنأى عن تلك التداعيات، ومنه فقد برزت عدة نظريات في محاولة لتحليل العلاقة بين النمو السكاني وحجم الإنتاج، نوجزها فيما يلي:

1. **نظرية الحد الأمثل:** طرحت هذه الفكرة لأول مرة على يد آدم سميث، و المقصود بها عدد السكان الذي يسمح بالحصول على الحد الأقصى لمعدل الإنتاج الفردي، وقد أتى بعده ألكسندر كارسندرز ليتوسع أكثر في هذه الفكرة في كتابيه "المشكلة السكانية " و"سكان العالم" (زكي، 1984 : 98 ـ 100 .)

حيث أثار مفهوم الدخل الفردي كمقياس لتقييم حجم السكان على أنهم قلة ، كثرة أو عند حد أمثل وهو الحد الذي يبلغ عنده الدخل الفردي أقصاه .

أهم الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية هو تركيزها في تحديد حجم السكان على عامل واحد وهو الثروة .كما أنها لم تأخذ بعين الاعتبار التقدم التكنولوجي و تحسن مستوى المعيشة .

1. **نظرية عرض العمل غير المحدود:** ظهرت هذه النظرية سنة 1954 على يد آرثر لويس الذي لاحظ بعض السمات التي طبعت الدول النامية مثل النمو الديموغرافي، البطالة وكذلك الازدواجية الاقتصادية المتمثلة في قطاع صناعي فتي مقابل قطاع زراعي تقليدي، حيث يرى أنه من الممكن دفع عجلة التنمية الاقتصادية نحو الأمام إذا أمكن سحب جزء من العمالة الزائدة في القطاع الزراعي إلى القطاع الصناعي شريطة أن يكون الاستثمار في القطاع الصناعي مستمدا من الفائض الذي يتحقق بداخله
2. **نظرية الطلب على العمل:** ظهرت هذه النظرية على يد سيدني كونتز الذي اهتم بدراسة الظواهر السكانية ، حيث أنه تأثر بأفكار ماركس ولكنه توسع في تفسيره ، حيث يرى أن نمو السكان يتوقف على عوامل اقتصادية ثلاثة هي:

* مقدار العمل المطلوب :حيث تحدد فرص العمل المتاحة معدلات الزواج و الإنجاب .
* نوع العمل المطلوب : فزيادة الطلب على العمل غير الماهر تؤدي إلى ارتفاع الخصوبة.
* الوظائف الاقتصادية للأسرة :تحول الأسرة من وحدة إنتاجية إلى وحدة استهلاكية بفعل تحول الزوجة للعمل خارج البيت، وتخلي الأطفال عن وظيفتهم الإنتاجية ، مما رفع من تكاليف إنجاب الأطفال الشيء الذي أدى إلى انخفاض الخصوبة.